الآبار، الحصون، السجون، أنموذجات من العُمران في معجم البلدان للحموي
" دراسة في النظرية والتطبيق"

د. أحمد صالح الزعبي (*)

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أنموذجات من الآبار والحصون، والسجون من العُمران في معجم البلدان للحموي ودرسها.

كان من أبرز النتائج ظهور الآبار، والحصون، والسجون بمترادفات متعددة تنبَّه إلى أهميتها الشعراء، ليس من منظور أدبي فحسب، بل من منظور جغرافي معماري بيئي اجتماعي، نفسي، كما تدل الشواهد عليها في ضوء نظرية العُمران والبناء التي اقتبست من القرآن الكريم.

(*)أستاذ مشارك– قسم اللغة العربية – جامعة مؤتة

Wells, Forts, Prisons: Models of construction in "Mo'jam Al boldan" by Yaaqoot Al-Hamawy: A study on Theory and application

Ahmed Saleh Elzoabi

Abstract

The study aimed at determining some types of wells, forts, prisons as Al-hamawy reminded in his homelands encyclopedia "Mo'jam Al boldan".

The most important result are determined in three parts.

The first one included the wells and five kinds of its synonyms.

The second included the forts and six kinds of its synonyms.

The third studied the prisons and its three kinds of its synonyms. This study took into considerations the constructions from environment, hygienic, safely constructional, army forts, sociological, psychological sides. This theory Quoted from holly Quran.

1. مقدمه

تُعَدُّ موسوعة "**معجم البلدان**"[1] لياقوت الحموي[2]، على رأس معاجم البلدان عدداً ودِقّة واستقصاء، شمل بها ممالكَ الإسلام وبلدانَها؛ إذْ ترجم لـــــ(12953) اثني عشر ألفاً وتسعمائة وثلاثة وخمسين مكاناً وبلداً وأثراً، أدرجها الفبائياً وأكد على كتابة الأسماء وشكّلها، خشية أن تُصحّف أو تُحرّف، وذكر أسبابَ تسميتها، واشتقاقها اللغوي، ما أمكنه ذلك، وترجم للبلدان من حيث هي ماءٌ أو عين، أو صنم أو قرية أو مدينة، أو أثر أو قصر، أو بئر أو دير، أو تماثيل، أو بحر، أو نهر أو جدول، أو سُدّ، أو أي مُسمّى تحت مظلة العُمران الضافية، على مشارق الممالك الإسلامية ومغاربها، وشمالها وجنوبها، وكم تبعد الأماكن عن موضع آخر أكثر شهرة، وكان يختم ترجمته للبلد بذكره أسماء المشهورين من الأعلام والمنسوبين إليه، مقدماً أصحاب رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار، على غيرهم من أسماء الأدباء والشعراء والنابهين في علومٍ شتّى، ذاكراً لُمَعاً من أخبارهم.

لقد أفاد الحموي من كتب السابقين له، على أنه عزّز ترجمة البلدان بخبرته الشخصية، فأفاد من تجارتِهِ وترحُلاته وأسفاره في كثير من البلاد، فأودَعها بموسوعته هذه، بهمّةٍ عالية، شهد له بالفضل فيها عدد من العلماء السابقين واللاحقين، أشار إليهم محقّق الموسوعة هذه الأستاذ –فريد الجندي– الذي عني بها، فرقّم المواضعَ، وسلسلها من أول موضع إلى آخره، وخرّج الآيات القرآنية وبيّن مواقِعَها، شأنُه بالأحاديث النبوية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضبطَ ما لم يضبطْهُ الحموي من مواقع، وصنع خمسة فهارس لجميع البلدان والأعلام وأحاديث رسول الله وقوافي الشعر، وعزا كُلاً منها إلى رقمه في الموضع فأجاد وأحسن في جزأين فجزاه الله عنّا خيراً[3].

أمّا الدراسةِ هذه فجزئية تحاول أن تدرس أنموذجات من العُمران في موسوعته؛ تشمل بعض الآبار والحصون والسجون في بحثنا الأول هذا، على أن تليه بحوثٌ أخرى تَباعاً بإذن الله، في ضوء ما تسمح به مساحات بحوثٍ محكّمة، في مجلاتٍ علميّة على أنّ اختيارنَا لأنموذجات عمرانية، من خلال الشعر الوارد فيها دونما داع لتحقيق الشعر، وترجمة قائليه؛ لأنّ الحموي لم يدرج في كثير من الأحيان أسماء بعض الشعراء من جهة، ولأنَّ تحقيقَ النصّ يشطح بنا عن هدف رئيس، هو إبراز العُمران ومكانه وتحليلُه في دراسة جزئيه له من جهة أخرى، على أن الباحث يحاول استقراء العُمران لغة واصطلاحاً لينطلق من خلاليهما إلى نظرية العُمران والتطبيق عليها بأنموذجات يحسبها كافية.

1. العُمران لغةً واصطلاحاً:

العُمْرُ بالفتح والضّم وبفتحتين هو الحياة والجمع أعمار، وبالضم المسجد والبيعة والكنيسة، وبالفتح الدّين قيل ومنه لعمري، ويحرّك، وعمُرُكَ الله ما فعلت كذا أصله عمرتُكَ الله تعميرا، وأعْمُرُكَ الله أن تفعل، تحلّفه بالله وتسألُهُ بطول العمر، ولعمرُ الله أي وبقاءُ الله، وأعمر المكان وأعمر جعله يعمره، والمعمر كمسكن المنزل الكثير الماء والكلأ[4] والتعمير جودة النسيج وغزله، والبيت المعمور بإزاء الكعبة شرّفها الله تعالى[5] واستعمر الله تعالى عباده أي طلب منهم العِمارة فيها، وعمرك الله دعاء بالتعمير، والعَمارة ريحانة كان يُحَيّا بها الملك مع قوله عمرك الله[6].

وفي لسان العرب إنَّ المعمرَ هو المنزلُ الواسع من جهة الماء والكلأ الذي يقام فيه، قال طرفه بن العبد:

"**يالكِ من قُبّرةٍ بِمَعْمَرَ**".

والعَمار والعَمارة: كلُّ شيء على الرأس من عِمامة أو قُلنسوة أو تاج أو غير ذلك، وقد اعتمرَ أي تعمّم بالعِمامة ويقال للمعتم: معتمر، والعُمرة أن يبني الرجل بامراته في أهلها، فإن نقلها إلى أهله فهو عُرس، والعَمارة والعِمارة: هي التحية، ودار معمورة يسكنها الجن، وعمّار البيوت سكّانها من الجن[7].

ولعلَّ المُعْجَمَ الوسيطَ يكون أسهلَ في تناول العُمران من حيث اللغةُ. والاصطلاحُ، فَعَمَرَ الرجل عَمْراً بمعنى عاش زماناً طويلاً، وعمر المال صار كثيراً، وعمر المنزل بأهله كان مسكوناً بهم فهو عامر، وأعمرَ فلان الأرضَ وجدَها عامرة، وعمر الله فلاناً أطال عمره فهو معمّر، واعتمر الرجل: لبس العَمارة و أدى العُمرة، واستعمره في المكان: جعله يعمره.

والعُمارة: أجرة البناء، إلى أن يخلصَ المُعجمُ إلى ما نحن بصدده، فالعِمارةُ عنده نقيضُ الخراب، والعِمارة هي البنيان، والعِمارة هي ما يحفظ به المكان، والعِمارة هي مبنى كبير فيه جملة مساكن في طوابق متعددة وجمعها "عمائر".

وفنُّ العِمارةِ هو فنُّ تشييدِ المنازلِ ونحوها، وتزيينها، وَفْقَ قواعدَ مُعَيَّنَة، والمستعمرة هي إقليم يحكمُهُ أجنبي يتوطّنُهُ أو يكتفي باستقلاله؛ اقتصادياً وعسكرياً، والمعمورة هي الدار المبنيَّةُ والدار المسكونَةُ، وتطلق على عُمُّر من الأرض[8].

وقد تجلّى معنى العمران في القرآن الكريم بدلالات كثيرة تستوعب ما ذكرته المعاجم وتضفي عليها، فحملت معنى عمارة الأرض، وحرثها، واستعمارها، وإعمار المساجد، وأماكن العبادة، ومهلة الإنسان في الحياة[9].

كما وردت بعض المترادفات المعنوية لمصطلح العمران كالبنيان؛ إذ نجدها أقباساً مذكورة في القرآن الكريم ولا تخرج في دلالتها عن معناها العام[10].

وفي الاصطلاح يعرّف العمران بأنه علم تشييد الأبنية وابتكار أبنية سهلة الاستعمال على أن تلبي عوامل الجمال وسلامة البناء وسهولة استعماله، ينضاف إليه عناصر الجمال والاقتصاد[11] . وتتصف العمارة بصفتين هما:

وجود مادي مستمد من أسلوب التصميم وطريقة التنفيذ ومواد البناء، هـذه صفة، والصفة الثانية هي المعنى الحسي والجمالي للبناء بما يتمتع به من صـفات فنية إحساساً جمالياً للمبنى[12].

2. أنواع العُمران

أ. الآبار

أما الآبارُ فناف عددها على ثلاث وثلاثين بئراً[13]، أدرجَ بعضُها في الشعر ولم يُدْرَج الآخر؛ وليس غايتُنا تقصي الآبار جميعها، لأنَّ ذلك لا تستوعُبهُ مساحةُ الدراسة، ذلك لانَّ الآبارَ لم تدرج جميعُها في مادة البئر فحسب؛ إذ تجدُها موزَّعة على مادة الحُفير، والجُرْفِ والجُبِّ والحِفار والبغيغة، وغير ذلك، وعلى ذلك فإن تقصّي الآبار في مادة واحدة "بئر" لا يعني شمولية الآبار الموزَّعة، بمترادفات مختلفة، أو بأسماء أخرى حَسَبَ سِعتها وضيقِها، وقد ينسحبُ ذلك على أقسام العُمران الأُخرى، مما يعني ضرورة التنبّه إلى مثل هذه الدراسة، من محور آخر قد يبرز جدّةً تنضاف إلى جهود المفهرس، الذي يُحْمَدَ له صنيعُه، الماثلُ في جزئيه، في نهاية معجم البلدان للحموي فجزاه الله خيرا.

لقد تنوّعتْ أسماءُ الآبار ومترادفاتُها يبيّنها المخطّط التالي:

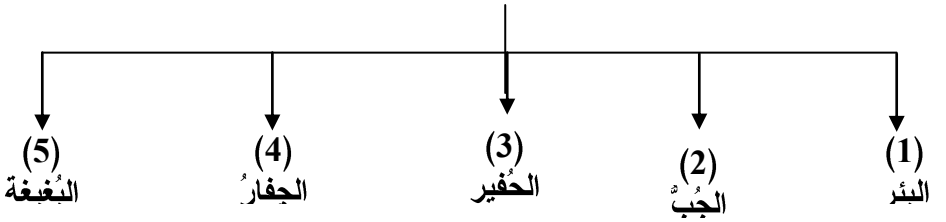

أماَّ البئرُ فلغة مؤنث، وجمعه آبار، وبئار[14] ويسمى باسم صاحبه أحياناً مثل بئر عُروة، وبئر ميمون، أو باسم المنطقة كبئر الجرفِ، ويحّددُ الحموي موقعه أحياناً فهذا بئر عروةَ يقع بعقيق المدينة[15]، ويُنسَبُ إلى عروة بن الزبير بن العوام[16] رضي الله عنه، قال علي بن الجهم: [17]

هذا العقيقُ، فَعَدَّ أيدي العيس من غُلوائِها
وإذا أطفتَ ببئرِ عُرْوةَ فاسقني من مائِها
إنَّا وعيشِكَ ما ذَمَمْنا العيشَ في أفنائِها

وروي أنَّ من كان يخرُجُ من مكَّة يتزوَّد من مائها إذا مرَّ بالعقيق، وكانوا يهدونه إلى أهاليهم ويشربونه في منازلهم.

ومن اللطائف أنَّ العوَّام[18] كان يأمرُ بماء بئره، فيُغلى ثم يجعلُه في قواريرَ، ويهديه إلى هارون الرشيد وهو بالرَّقة[19].

وقد قال السريُّ بن عبد الرحمن الأنصاري يوصي بان يُغْسَلَ جسدُه إذا مات بماء عُروة ثم يكفن فيقول[20]:

كَفنوني إنْ مِتُّ في دِرْع أروى واجعلوا لي من بئرِ عُرْوة َمائي

وتنبّه الشاعرُ إلى سخونِته وبرودته، شتاءً وصيفاً، فهذه سمة الآبار على ما يُعْرفُ أن يكونَ ماؤها بارداً صيفاً، وحارًّا شتاءً فيقول الشاعرُ نفسه:

سُخنةٌ في الشّتاءِ باردةُ الصّيف سراجٌ في الليلةِ الظلماءِ

ومن الآبار التي تُسمى بأصحابها بئر ميمون، وموقعها بمكة، تنسب إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي[21]، وفي قول انه اخو العلاء بن الحضرمي[22] والي البحرين، وحفرَها ميمون بأعلى مكة في الجاهلية، وعندها قبر أبي جعفر المنصور[23].

ويحدّد شاعرٌ غيرُ معروف، موقعَ بئر ميمون، في مكّة؛ حيث يزدحمُ الحُجَّاج ُبين أباطحها[24]:

تأملْ خليليّ هل ترى قصرَ صالح وهل تعرفُ الأطلال من شعب

إلى بئرِ ميمونٍ إلى العيرةِ التي بها ازدحم الحجاجُ بين الأباطحِ

ومن الآبارِ ما تُسمَّى باسم المنطقة، أو بما تفعله السيولُ بها من جَرفْ متصدّع منها، على نحو بئر الجُرّف، الذي هو من جرف الوادي من إسناد المسايل، إذا نَخَجَ، الماء في أصله فاحتقره، والجُرْفُ: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، فيه بئرُ جشم وبئرُ جَمَل، ويذكر سبباً آخر لتسميته لأن تُبَّعا مرَّ به فقال هذا جرف الأرض، وكان يسمى العِرْضَ، ما يدل على تغيير اسمه بدليل قول كعب بن مالك[25]:

إذا ما هَبَطْنا العِرْضَ قال سُراتُنا علامَ إذا لم نَمْنع العِرْضَ نَزرْعُ؟

ونلحظُ أنَّ الجُرْفَ بضمّ الجيم وسكون الراء، يقعُ شمالي المدينة المنَّورة على ثلاثة أميال، وهو وصف اتجاهي نألفُهُ عند الحموي، وهو مكان تحشُّد الجيوش الإسلامية للغزوات، شأنُ المسلمين في غزوة مؤتة سنة ثمان، ويبدو أنَّ تحشُّدَهم كان لسعة المكان، إذ يقعُ الجُرفُ جنوبي غربيَّ جبلِ احدٍ من جهة[26]، ولتوافر مياه بئرين يتزوَّدُ منها الجيش من جهة أخرى، وقد ذكرَ بئرا منهما كعبُ بن الأشراف اليهودي النُّضيري[27]، ذاتَ رُواء، يغترفُ منها بإناء أو يُستخرَجُ ماؤها بالدّلاء، فيقول[28]:

ولنا بئرٌ رُواءٌ جَمّةٌ من يَرِدْها بإناءٍ يَغْتَرِفْ

تَدْلُجُ الجُونُ على أكنافِها بدلاءٍ ذاتِ أمراسٍ صُدُفْ

كُلُّ حاجتي بها قَضَّيتُها غيرَ حاجاتي على بَطْنِ الجُرُفْ

ومن الآبار الجِبابُ جَمْعٌ جُبٌّ، والجُبُّ هي البئر التي لم تُطْوَ، وهو ماء معروف لبني ضبينة بن جعدة بن غني بن يعفر؛ إذ يذكّر الشاعر لبيد بن ربيعة[29] بني ضبينة واجباتهم وهم أهل بأن يمنعوا نفي جعفر[30]:

أبني كُلاب كيف يُنفى جَعفرٌ وبنو ضبينة حاضرو الأجباب؟

ومن مترادفات البئر الحَفير بفتح وكسر وياء ساكنه، فهو ماء بمكة، حفرته بنو تميم فقال بعضهم يستغزرُ ماءه [31]:

قد سخَّر اللهُ لنا الحفيرَ بحراً يَجْيشُ ماؤه غزيراً

ويبدو أنَّ العَرَبَ كانوا يحفرون لاستخراج الماء، بدليل قول أحدهم عن حفير وهو ماء بأجأ وسلمى من حائل اليوم، تتراوح الرِّجالُ في الحَفْر، لاستخراج الماء وقد خَرَج زُلالاً[32].

إنَّ الحُفيرَ ماؤه زُلالٌ أبحره تُراوحُ الرّجالُ

ومن مترادفات البئر الجِفارُ بكسر الجيم، وهي بئر قريبة القعر الواسعة لم تُطْوَ، فالجَفْرَةُ سعة في الأرض مستديرة، وجمعها جِفار، وهي ماء لبني تميم وموقعها بين الكوفة والبصرة، قال بشر بن أبي خازم[33] يذكر يوم الجفار ويبدو أن القتال كان على قرب من المياه[34]:

ويومُ النّسار ويومُ الجِفا (م) ر، كانا عذابا، وكانا غَراما

ومن الآبار البُغيبغةُ بالضَّم والفتح وياء ساكنة وياء موحّدة مكسورة وغين أخرى كأنها تصغير البغبغه ومعناها: البئر القريبة الرَّشاء بدليل قول الراجز يُفسِّرُ معناها وموقعَها وقربَ مائها، في أجبال طيء، وقد طمى عليها الورق المدَّبق[35]:

يارُبَّ ماءٍ لك بالأجبالِ بُغيبغٍ يُنْزَعُ بالعِقال

أجبالِ طَيِّ الشُّمَّخ الطِّوالِ طمى عليه وَرَقُ الهدَال[36]

ففي الرجز هذا دليل على وجود ماء في شُمّخ من جبال طيء، في منطقة حائل اليوم في بئر قريبة الرّشاء، يمكن اغترافُه بحبل بعير بالعِقال، وان كان الوَرَق المدبّق قد شكّل فوقه طمياً ورقياً، مما كان تساقط من فوقه، فالوصف على قلّة الشعر دالٌ على وجود ماء قريب، وإن كان غيرَ صحي، بدليل وجودِ الورق المدبّق فوقه كأنَّه الطميُ.

ب- الحصون.

الحِصْنُ بكسر الحاء وسكون الصاد لغةً مأخوذ من الحَصانة وهو المَنعَة[37] ويفهمُ منه أنهُ موقع حربي، ذكر الحموي (17) سبعة عشر حِصناً بلفظ الحِصْن، بعضها لا شِعْر فيه[38].

وعددُ الحصون أكثرُ من ذلك بكثير، بدليلِ إدراجها بمسميات أخرى، تحت موادَّ لغوية متنوعة، نحو الأحيدب، والحمراء، وهما مسميان لحصن واحد، وإنْ اختلف المسميان، وبقة وجُؤاثى ومارد والأبلق، كما وردت الحصون بمسميات الأطم أيضاً، نجدولها تالياً تمهيداً لدرسها:

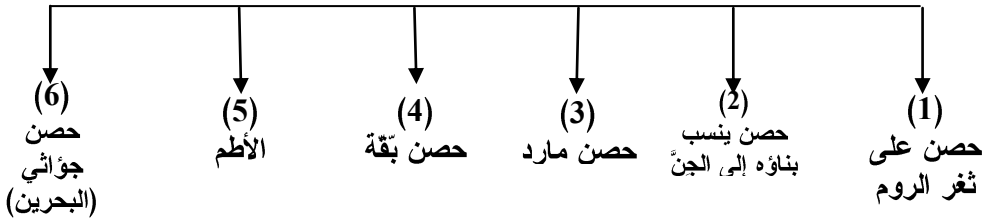

(1)

أمَّا حِصْنُ الأحيدب والحمراء فهما مسميان لحصن واحد "الحَدَث"، فالأحيدبُ تصغيرُ أحدب، وهو جبل مشرفٌ على الحدثِ بالثغور الرُّومية ذكره شاعران فارسان، هما أبو فراس الحمداني[39] والمتنبي، أشادا بانتصارات سيف الدولة الحمداني على الرُّوم فيه، فهذا أبو فراس الحمداني يقول[40]:

ويومٌ على ظهرِ الأحيدبِ مُظلمٌ جلاه ببيض الهند بيضٌ أزاهرُ
أتتْ أُمَمُ الكفَّار فيه يَؤمُّها إلى الحينِ ممدودُ المطالبِ كافرُ
فحسبي بها يومَ الأحيدب وَقعةً على مثلِها في العِزِّ تُنثى الخناصِرُ

وذكر المتنبي أبو الطيب جبلَ الأحيدب مصغّراً إياه، على كبر مساحته، لأنه لم يعد يتسَّع جثث القتلى من الرُّوم، بضربات سيف الدولة، في معرض امتداحه يوم نثرَهم سيفُ الدولة عليه[41]:

نَثَرْتَهُمُ يومَ الأحيدب نثرةً كما نُثِرتْ فَوْقَ العروسِ الدَّراهِمُ

والحدثُ قلعةٌ بين مَلَطْيَة وسُمسياط ومَرْعَش؛ سميّتْ إما لُتربتِها الحمراء او لغلامٍ حدثٍ لقي المسلمون منه شدَّةً وعناء، وسمّي درب الحدث ب السَّلامةِ على النّيمن، وقد أدرج الحمويُّ أربعة أبيات، من القصيدة السابقة يَذكرُ الحدثَ فيها[42]:

هل الحَدَثُ الحمراءُ تعرفُ لونَها وتعرفُ ايَّ الساقيين الغَمائمُ؟
بناها فأعلى والقنا تقرعُ القنا وموجُ المنايا حولَها مُتلاطِمُ

وكان مَلَكُ الرُّوم عاد لخرابها ثانياً فهزمهم سيف الدولة، فمدحه غيرُ شاعر.لقد ابرزَ شعراءُ الحصون الثغريّة اسم القلعة وجبلَها، ولونَ التربة، وتآزرَت قوى الروم والفرس لهدمها، إلى أن تمكَّنَ سيفُ الدولة من هزيمتهم على قِلّةِ جنده، وحداثةِ ترميمها، وخابت أحلامهم ؛ فلم يتمكنوا من النيل منها، وكان من أبرز نتائجها أن انتثرت جُثثُهم على الجبل فضاق بهم على سَعته.

(2)

أمَّا من الحُصون التي ينسب بناؤها للجنِّ ؛ فَحصْنُ الأبلق، الذي كان للسَّموأل ابن عاديا اليهودي، وقد عُرفَ بالأبلق الفرد، وكان يشرفُ على تيماء، بين

الحجاز والشام، على رابيةٍ من تراب فيه أثارٌ بيّنةٌ من لبن، لا تدل على ما يحكى عنه من العظمة والحصانة، كما يقول الحموي؛ إذ كان في عهده خراباً، وسمي بالأبلق لأنه كان في بنائه بياضٌ وحمرة، واختُلِفَ بأول من بناه فالسَّموأل، يقول إن أباه عادياء هو الذي بناه: (43)

بنى لي عاديا حِصناً حصينا وماءً كلّما شِئْتُ استقيتُ
رفيعاً تَزْلَقُ العقبانُ عنه إذا ما نابني ضيمٌ أبيتُ
وأوصى عاديا قدِمْا بأن لا تهدّمَ ياسَموألُ ما بَنَيْتُ
وفيتُ بأدرعِ الكِندي إني إذا ما خانَ أقوامٌ وَفَيتُ

ويُفهَمُ من النصِّ أمورٌ؛ أنّ الحصْنَ حصين، به اكتفاءٌ ذاتي من ماء كافٍ، والحِصْنُ على تلّ عال، والسَّموأل يأخذُ بوصية أبيه أنْ يَظَلَّ الحِصْنُ عالياً، لا يهدمُهُ بالفعل المشين، ولا بالغدر، وعلى ذلك ضحَّى بولده، على أن لا يُعْطي مائة درعٍ كان امرؤ القيس بن حجر الكندي أودعهَ إياها، في قصره وقد استنجد به عند قتل أبيه، فكان الحِصْنُ مستودعَ أسلحة عند يهودي.

أمَّا الأعشى فذهب إلى أن بُناتَه من جِنِّ سليمانَ عليه السلام، وذكر اسمه وحدد موقعه بتيماء فقال: (44)

ولا عاديا لم يمنعِ الموتَ مالُهُ وَوَرْدٌ بتيماءَ اليهودي أبلَقُ
بَناهُ سليمانُ بن داودَ حِقْبةً له أزَجٌ عالٍ وطيٌّ موثّقُ

ثم انتبه الأعشى إلى ميزات معمارية ومرفقات صحية، فمن الميزات المعمارية عُلوُّه، ويوازي كبيداتِ السماء، ومحتوياتُ بنائه بلاط وكلس، ويُحاطُ قصْرُهُ بخندق، وفي رأس قصره درمك "دقيق ابيض اللون" وفيه مستلزماتُ المطبخ من قدر وصاع وحوضٍ مليء بالماء (ديسق) وفيه خُدّام مناصف وطباخ وخمرة، ونساء حسان والبناء معمارياً من صنع سليمان بن داود عليهما السلام، مستطيلٌ مقوَّس السقف "أزج" ومع هذا التكامل المعماري والاكتفاء الذاتي فلم يَصْمد صاحبُهُ أمام الموت(45):

يوازي كبيداتِ السَّماء ودونَهُ بلاطٌ وداراتٌ وكِلْسٌ وخَندقُ
له دَرْمكٌ في راسهِ ومشاربٌ ومسكٌ وريحانٌ وراحٌ تصفّقُ
وحورٌ كأمثال الدمى ومناصِفٌ وقِدْرٌ وطبَّاخٌ وصاعٌ ودَيْسقُ
فذاك ولم يُعْجزْ من الموتِ ربَّه ولكنْ اتاهُ الموتُ لا يتأنقُ

أمَّا السَّموأل فيصفُ قصرَه وحصْنَه، بانَّ أساسَهُ ضاربٌ في أصلِ الثرى، شامخٌ في السماء رأسُه، يُدعى الأبلق الفردُ لقوتهِ ومنعتِهِ(46):

لنا جبلٌ يَحْتلُّه من نجيره منيعٍ، يَرُدُّ الطَّرْف وهو كليلُ
رسا أصلُه تحت الثرى وسما به إلى النَّجْمِ فَرْعٌ ولا ينال طويل (47)
هو الأبلقُ الفردُ الذي سار ذكْرهُ يَعُزُّ على من رامَهُ ويطول

(3)

أمَّا حِصْنُ مارِدٍ فموقعه في دُومة الجندل[48]، وفيه وفي الأبلق قالت الزَّبّاء[49] وقد غزتهما فامتنعا: "عليها تمرَّدَ مارد وعزّ الأبلق" فذهبت مثلاً لِكُلِّ عزيز ممتنع، وقد أدرجه الأعشى في شعره على أنه من منازل الأعشى، بدءاً من المِهراس ومنفوحة بلدته ومثواه أخيراً، ومروراً بالمهراس ومارد من منازله أيضاً بدليل قوله [50]:

شاقتْكَ من قِبلة أطلالُها بالشطِّ فالوتر إلى حاجر
فرُكن مهراسَ إلى ماردٍ فقاع منفوحة ذي الحائر

(4)

أمَّا حِصْنُ بَقَّة[51] فهو على قَرْسخين[52] من هيتٍ، ما بين الحيرة والأنبار، كان ينزلُهُ جَذيمةُ الأبرش[53] ملكُ الحيرة، وإيَّاه أراد قصير، وقد استشاره جذيمةُ بعد فوات الأمر وكان قصيرٌ – خازن بيت مال جذيمة – أريباً داهية، أشار على جذيمةُ، أن لا يغامر ذاهباً إلى الزبّاء، وقد قتل أباها فلم يُطعه، ولمَّا أحاطت بجذيمة عساكرُ الزباء، قال جذيمة لقصير: ما الرأيُ يا قصير[54]؟ فأجابه قصير ببقِةٍ خلَّفتُ الرأي فذهبت مثلاً فقال نَهشلُ بن حَرِّي[55]:

ومولى عصاني واستبدَّ برأيهِ كما لم يُطَع بالبَّقتين قصيُر
فلمَّا رأى ما غبَّ أمري وأمرَه وناءت بإعجاز الأمور صُدورُ
تمنى نئيشاً[56] أن يكونَ أطاعني وقد حدثتْ بعدَ الامور أمورُ

وقال عَديُّ بن زيد[57] يسجّلُ حادثة قصير مع الأبرش، في مشاورته إياه في بَقَّة وقد فاته الأمر:

ألا أيُّها المثري المزجّى الم تسمعْ بخطبِ الأولينا
دعا بالبقَّة الأمراءَ يوماً جذيمةُ عامَ ينجوهم ثبينا
فطاوعَ أمرهم وعصى قصيراً وكان يقول: لو نفعَ اليقينا

(5)

ومن الحُصُون الأُطُم[58] بضمتين وضمة ثم سكون وأكثر ما يُسمى بها حُصُون المدينة، وقد يقال لغيرها بدليل قول الشاعر أوس بن مغراء التميمي[59]، يوظّف أسطام مضافاً إلى نجران لا إلى أطم المدينة فحسب:

بثَّ الجنودَ لهم في الأرض يقتُلهم ما بين بُصرى إلى أطام نَجرانا

أمَّا زيدُ الخيل الطائي[60] فأضافَ الأطام إلى المدينة المنورة[61] وسجَّل مدة الغزوة؛ إذ استغرقَ فتحُها أربع عشر ليلة، ثم كُتبت شروط الصلح[62]:

أنيخت بآطامِ المدينة أربعاً وعشراً يغنّي فوقها الليلَ طائرُ
فلمَّا قضى أصحابُنا كلَّ حاجةٍ وخطَّ كتاباً في المدينةِ ساطرُ
شَدَدت عليها رَحْلَها وشليلَها من الدَّرس والشعراءِ، والبطنُ ضامرُ

(6)

أمَّا حِصْن جواثاء (يمدُّ ويقصر) فهو لعبد القيس بالبحرين، فتحَهُ العلاء الحضرمي سنة (12هـــ) عنوة، وكان المرتدون حصروا طائفة من المسلمين فيه، مما حدا بعبد الله بن حذف، أن يستغيث بابي بكر لإنقاذهم من الحصار، فجاءهم العلاء الحضرمي وفكَّ الحصار عنهم فيقول[63]:

ألا ابلغْ أبا بكرٍ رسولا وفِتيانَ المدينةِ أجمعينا
فهل لكمُ إلى قومٍ كرامٍ قُعود في جؤاثا محصرينا
كأنَّ دماءَهم في كُلِّ فجٍّ شعاعُ الشَّمْس يغشى الناظرينا
تَوَّكلنا على الرَّحمن إنّا وجدْنا النَّصر للمتوكّلينا

ج. السجون(الحبوس).

السّجْنُ: لغة الحُبس، فنقول سَجنَهُ سِجْناً: حَبَسَهُ، فهو مسجون وسجين، جمعه سُجُنَاء وسَجنى، وهي مسجونة وسجينة والجمع سجنى وسجَائن، وسجن الهمَّ لم ينشرْه ولم يظهره وسجَّنه: سجنه والسَّجان من يتولى أمرَ المسجونين[64]، وفي التنزيل قراءتان: (رَبِّ السِّجْنُ أحَبُّ إليَّ) [65] بكسر السين وفتحها.

لقد تنوَّعتِ السجونُ عند الحموي في معجم البلدان، يمكن أن نشجُرَها على النحو الآتي:

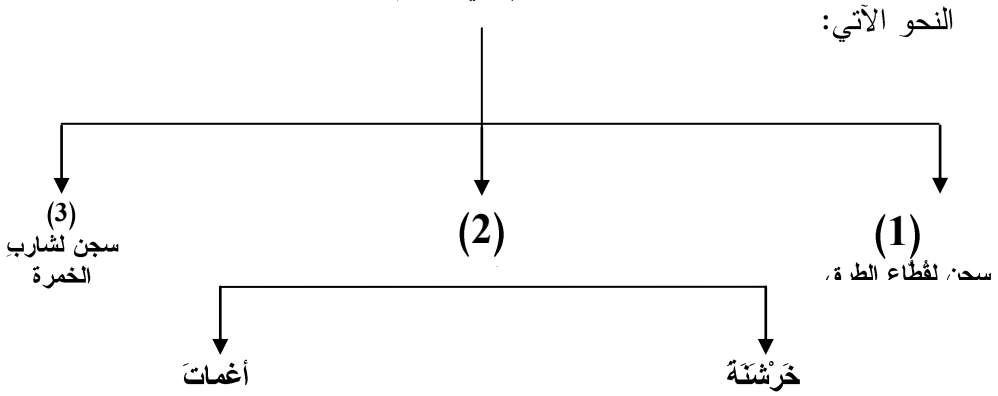

ومن أمثلة النوع الأول ما كان عقوبة لبعض الأعراب ممن كان يقطعُ الطرق، فأخذ إلى والي اليمامة فسجنهُ، ولم يذكر اسمه، ولا اسمَ والي اليمامة[66] كما كان لـــ جَحْدَر من بني جُشم، ممن كان يخيف السبيلَ أيضاً، في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي فأرسلَ الحجّاجُ إلى عاملهِ في اليمن، فظفر به، وحمله إلى الحجاج بواسط فسجنه[67].

أمَّا الأول فحنَّ إلى وطنهِ، وصوَّرَ لنا السجن مغلقاً، وعليه سجّانان، كبَّلاه بوثاقٍ حتى لا يهرُبَ، وذلك بأمر الوالي؛ ويلمعُ برقٌ من جهة الجنوب الغربي، من بلاده اليمن، فيحنّ إلى بلاده، ويتوسل إلى سجَّانيه، ليفتحا له بابَ السجن لينظرَ

لوَحَانَ البرق، فيأبيا؛ لأن في ذلك مخالفة لأوامر السلطان، كما تتجلَّى المحاورةُ معهما في أبياته[68]:

أقولُ لبَوابَيَّ، والسّجن مُغلقٌ ... وقد لاح بَرقٌ ما الذي تريان ؟
فقالا: نرى بَرْقاً يلوحُ وما الذي ... يشوقُكَ من بَرْقٍ يلوحُ يمان؟
فقلت : افتحا لي البابَ انظرْ ساعةً ... لعلي أرى البَرْقَ الذي تريان
فقالا: أُمرْنا بالوثاق وما لنا ... بمعصيةِ السُّلطان فيك يدان

فانعكفَ السجين على داخلهِ، يُحيي فيه آماله بالخروج منه؛ إذ إنَّ الحياة لا تستمرُّ على حالة واحدة، فالسجنُ ليسَ مؤبداً في اليمامة، شأن عيشهِ الذي لم يَدُمْ في بلدته أبان:

فلا تحسبا سِجْنَ اليمامةِ دائماً ... كما لم يَدُمْ عيشٌ لنا بأبان

أمَّا جَحْدر الجُشَمي[69] فكان هو الآخر يخيف السابلة في اليمن، فأمر الحجَّاجُ[70] عاملَهُ أن يُشدد عليه، فظفرَ به، وأرسلهُ إلى الحَجاج بواسط[71] فسجنه، فحنَّ جَحْدرُ إلى بلاده اليمن، فنظم قصيدةً نونية من ستة عشر بيتاً، على إيقاع البحر الوافر، وظَّف من هديل حمامتين، معادلاً موضوعياً، لنشيجه في غربته، وتحنانه إلى البرق اليماني، وزوجته أم عمرو، ووظَّفَ رؤيا الهلال، عاملاً مشتركاً بينهما وإن تفرقا، وأشادَ بفروسيته، في ميدان الحرب، وخاطب أخويه من أبناء جُشَم بن بكر، بحرف النداء البعيد، زيادةً في بعد امتداد الصوت وشجاه، وطلب منهما أنْ يُقَّلا عليه اللومَ، وان ينعياه إلى فتيان جُشم بن بكر، حيث ستبكيه الغواني، وأحرارُ الفتيان، من بني قومه، ويتوقعُ أن يُعْدَمَ بعد بضعة أيام من شهر المحرم، ويحرصُ على ذكر اسمه أسيراً يحاذر أن يقتل بسيف يماني، ويؤرقُه البرقُ اليماني كما في هذه النُّواحيّة[72]:

لقد صدعَ الفؤادَ وقد شجاني ... بكاءُ حَمامتين تُجاوبان
تَجَاوبَتا بصوتٍ أعجميّ ... على غُصنين من غَرَبٍ وبان
فأسْبَلْتُ الدُّموعَ بلا احتشامٍ ... ولم أكُ باللئيمِ ولا الجبان
وقلتُ لِصَاحبيَّ: دعا مَلامي ... وكُفّا اللومَ عني واعْذُراني
أليسَ الله يعلمُ أن قلبي ... يحبُّك أيها البَرقُ اليماني؟
وأهوى أنْ أعيدَ إليك طَرْفي ... على عُدَواء من شُغلي وشاني
أليسَ اللهُ يُجْمَعُ أُمَّ عمرو ... وإيانا فذاك بنا تَدان ؟
بلى! وترى الهلالَ كما أراهُ ... ويعلوهُ النَّهارُ كما علاني
فما بين الثَّفَرقِ غيرُ سبعٍ ... بقينَ من المحرَّمِ أو ثمانِ
الم ترني غَذيتُ أخا حُروْبٍ ... إذا لم أجْنِ كنتُ مجِنَّ جان؟
أيا أخويَّ من جُشَم بن بكرٍ ... أقلّا اللومَ إن لا تنفعاني
إذا جاوزْتما سَعفات حَجرٍ ... وأودية اليمامةِ فانعياني
لفتيان إذا سمعوا بقتلي ... بكى شُبّانهُم وبكى الغواني

وقولا : جَحْدرٌ أمسى رهيناً يُحاذرُ وقعَ مصقولٍ يماني
ستبكي كُلُّ غانية عليه وكلُّ مخضبٍ رَخْصِ البنانِ
وكلُّ فتى له أدبٌ وحِلمٌ معدّيٌّ كريمٌ غيرُوانِ

فلما سَمِعَ الحجّاجُ بشعره هذا، أحضرَه، وخيَّره أيُّ طريقةِ القتلِ أحبُّ إليه؟ السيفُ أو يلقيه إلى السَّباع؛ إحدى طرق القتل، ففضَّل جَحْدرُ أن يعطيَهُ سيفاً، ويلقيهُ إلى سَبعٍ ضارٍ مجوّع، فزار السبع، فتلقاه بالسَّيف، ففلق رأسَهُ، فأكرمه الحجَّاجُ واستتابه، وخلع عليه وجعله من أصحابه.

(2)

اما السجن الحربي فتجلى في سجن أبي فراس الحمداني في خَرْشَنة والمعتمد بن عباد في أغوات مَراكُشَ، مع أن فرقا بينهما، ذلك أن أبا فراس أسرته ألف من فرسان الروم، ومعه سبعون فارسا، وهو في الصيد، والمعتمد بن عباد أسر في فتنة داخلية بينه وبين قواد يوسف بن تاشفين سنة 484هـ[73].

أما أبو فراس الحمداني، فوقع أسيراً بيد الروم، وسجن في خرشنة فقال[74]:

إنْ زرتُ خرشنة أسيراً فلكمْ حللتُ بها مُغيراً

ولئن كان الحموي، قد ذكر هذا البيت الوحيدَ، لأبي فراس استدلالاً على أسره وسجنه في خرشنة التي ذكرها في شعره، فقد غابت عنه صورةُ عذابات الشاعر وتحسُّراته فيه؛ فقد ذكر أبو فراس أسبابَ أسره لجرح بسهمٍ أصابه في فخذه، قبيل أسره، ويوظِّفُ صراعَه النفسي، بلسان أمّه التي أبدت ضروباً من التأسّي لأسره، في خرشنة، بعد أن ردّها سيفُ الدولة خائبة، في مَنْبجَ، لمّا طلبتْ منه مفاداةَ ولدِها.

وكان ابو فراس يَرْسفُ في القيود بسجنه[75].

يا مَنْ رأى لي بحِصْنِ خَرْشَنَةٍ أسْدَ شَرى في القيود أرْجُلُها
يا مَنْ رأى في القيودِ موثقةً على حَبيبِ الفؤادِ أثقلُها

وحيناً يخاطبُ سيفَ الدولة لإنقاذه من سجنه ومفاداته[76]:

هل تعطفانِ على العليلِ لا بالأسيرِ ولا القتيلِ
باتت تُقَلّبُهُ الأكُفُّ سحابة الليلِ الطويلِ

ويَضْرَعُ إلى سيف الدولة ليفكّ أسرَه، لا سيما انه فكّ أسْرَ غيره ممن ليسوا بمستواه، ولا أبناءِ عمٍّ له، شأنُهُ مع ابن داود الذين افتداهم سيف الدولة[77].

أوما كَشَفْتَ عن ابنِ داودَ ثقيلاتِ الكبُولِ؟

وتظلُّ تتوازعه صعوباتٌ نفسيّةٌ وجسديّةٌ، فهو أسيرٌ باكٍ ببلاد الروم، ولكنّ قلبَهُ في الشام، لا يعوِّضُه إلا من أحبَّه[78]:

إنَّ في الأسرِ لصَبّاً دمعُهُ في الخدِّ صبُّ

هو في الشّام مقيمٌ ولهُ في الشّام قلْبُ

أمّا سجن أغماتَ قُرْبَ مَرَّاكُشَ، فحُمِلَ إليه المعتمدُ بن عباد[79] أسيرا في فتنة داخلية بينه وبين يوسف بن تاشفين[80] سنة (484هـــ) أربع وثمانين وأربعمائة، ومكث فيه أربع سنين حتى توفي في سنة (488هـــ) ثمان وثمانين وأربعمائة، ولم يذكر الحموي إلا بيتين، ذكر أغماتَ في أحدهما للشاعر ابن اللبانة يرثى حالة المعتمد التي آل إليها، إذ حُمِلَ إلى أغماتَ، فحُبِسَ بها[81]:

انفضْ يديك من الدُّنيا وساكنِها فالأرضُ قد أقفرتْ والنَّاسُ قد ماتوا

وقل لعالمِها الأرضيِّ قد كتمتْ سريرةَ العالمِ العلويّ أغماتُ

والحقُّ فان سِجْنَ ابن عباد أبرزَهُ ابن الأثير، إذا أدرج أبياتاً من شعره يصفُ قيدهَ في رجله في السجن بقوله؛ وقد تعطَّفَ القيدُ في رجله كحيةٍ تعضُّه عضَّ ناب أسد:

تعطَّفَ في ساقي تَعَطُّف أرقمٍ يساورُها عضاً بأنيابِ ضَيغَمِ

وهاهو يتجرَّعُ عَضّاتٍ أليمةً، وهو في سِجنِهِ، إذ مرَّ عليه عيْدٌ في سجنه، فأثار في نفسه حُزنا كميتاً، وهو يقارنُ بين حالتيه : أميراً من قبل وأسيراً في سجن أغماتَ من بعد؛

فيما مضى كُنْتَ بالأعيادِ مسروراً فصِرْتَ كالعبدِ في أغماتَ مأسورا

لقد كان أميراً من قبل، فها هو مأسور في سجنه من بعد[82]:

قد كان دهرُك إنْ تأمرْهُ ممتَثِلاً فرَّدكَ الدَّهرُ منهيَّاً ومأموراً

وهاهو يتَّخذُ عِبْرةً من الماضي، فإنّ من سرَّهُ ملكُه، فهو في حلم لا حقيقة ؛ صرخة باكية، يُسجِّلها نصيحة للملوك:

من باتَ بعدَك في مُلْكٍ يُسرُّ به فإنَّما باتَ بالأحلام مسروراً

وقد شكَّلت هزيمتُه واستسلامُه وأسرُه وسجنُه مع بناتهِ في أغماتَ، مرثاةً كبيرةً أدرجها المُعتمدُ نفسُه، وأعانَه عليها بعضُ الشعراء[83].

(3)

أمَّا سجْنُ شارب الخمرة ففي عهد عمر بن الخطاب كان سعد بن أبي وقاص قائد معركة معركة القادسية، فكان لأبي محجن الثقفي[84]، الذي التحق بسعد بن أبي وقاص في القادسية فسجنه، في قصره، بأمر الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ لِشُربِهِ الخمرة بعد أن كان نفاه.

لقد فات الحمويَّ ذكرُ شعرِ أبي محجن الثقفي في ترجمته "قادس"[85] فخلت المادة هذه من ذكرها في الشِّعر، غير أنَّ أبا مِحجَنٍ ذكرها ضمن قطعة من خمسة أبيات، يُبَيِّن فيها حَسَبَهُ من ثقيف، متباهياً به، مفتخراً بدروعهم السابغات، وصبرهم على هول القتال، ويذكرُ اشتراكهَ لبلة القادسية بالقتال فيها، دون أن يشعروا به، وبخروجه إليهم، ويُشيدُ ببطولته بعد أن خرجَ إليهم من السجن[86]:

لقد علمتْ ثقيفٌ غيرَ فَخْرٍ بأنَّا نحنُ أكبرُهم سُيوفا
وأكثرُهم دُروعاً سابغاتٍ وأصبرُهم إذا كَرِهوا الوُقوفا
وأنَّا وَفْدُهمْ في كُل يومٍ فان عَمِسوا فَسَل بهمُ عريفاً
وليلة قادسٍ لم يشعروا بي ولم اشعرْ لمُخْرجِيَ الزُّحوفا
فإنْ أحْبسْ فذلكمْ بلائي وإنْ أُتْرَكْ أذيقُهم الحتوفا

وكان أبو مِحجَن الثقفي يرسُفُ في قيوده في قصر سعد، فلما اشتدَّ القتالُ استأذن سلمى زوجَ سعدَّ أن تفكَّ قيده وتعيرَه فرس سعد البلقاءَ، فأبت فقال متحسَّراً:

كفى حَزَناً إن تردى الخيلُ بالقنا واتركَ مشدوداً عليَّ وثاقيا
إذا قمتُ عَناني الحديدُ وأُغلقت مصاريعُ دوني قد تُصِمُّ المناديا
ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهدِه لئن فُرجَتْ ألاَّ أزورَ الحَوانيا

فلما سمعتْ سلمى هذا الشعر، وكانت قد استخارت الله تعالى لاطلاقه– أطلقته، فامتطى صهوة فرس سعد، فقاتل عليها خيرَ قتال، وقصفَ العدوَّ بسيفه قصفاً منكراً، تَحيرَّ المسلمون من جراءة هذا الفارس، وظنوه الخَضِرَ، وسعدٌ يظنُّ به الظنون، إذ لولا علمُهُ بسجن أبي مِحجن، لظنه إياه، ثم أعتقه بعد أن عاد من ساحة الحرب، لأنه لا يُسجن على قوله بحبِّ الخمرة، دون أن يتأكدَ من شُربهِ إياها، وكان يؤخَذُ عليه قوله بحبِّ الخمرة[87]:

إذ مِتُّ فادفني إلى أصلِ كَرمَةٍ تروِّي عظامي بعد موتي عروقُها

العمران المذكور من منظومات أخرى (خاتمة البحث).

تنجلي دراسة العُمران المذكور من آبار وحصون وسجون من منظورات متعدده هي: جغرافيه، ومعمارية، وبيئية، واجتماعية، ونفسية وحربية.

أمَّا الآبار من منظور جغرافي، فجلّى مواقعَ الآبار، ففي مكة بئرُ ميمون، وفي المدينة بئر عُروة، وفي شمال المدينة بئرُ الجرْف، والجِفار لبني تميم، والجبُّ لبني حنيفة، وبغيبغة في جبال طيء، كما جلّى مواقعَ الحصون على الثغور في الأحيدب بين مَلَطية وسمسياط، وأطمَ اليهود حول المدينة خاصة، وأطمَ غيرها عامة، وحِصْنَ جواثاء في البحرين. امّا مواقعُ السجون جغرافياً فكانت في اليمامة، وواسطٍ في العراق، وخرشنة في الثغور، وأغمات في مَرَّاكُشَ، وسجن في قصر القادسية.

إمَّا العُمران من منظور معماري فالجِفارُ آبار مستديرة لم تطو، وبغيبغةُ آبارٌ قريبة الرِّشاء، ليست عميقة، أمَّا الحصون معمارياً فحصينةٌ منيفة، يُعادُ ترميمها إذا تهدَّم منها شيء، وأريد لها مَنَعَة أخرى، وبعضُها ذات لونين بها بياض وحمرة، كحِصْنِ الأبلق، في تيماء، وينمازُ عن غيره بسمات معمارية، صورّها صنَّاجةُ العَرَب (الأعشى)، فالأبلقُ على تلٍّ عال، موادُّ بنائه كِلس وأرضيَّتُهُ بلاط، يُحاطُ بخندق للحماية، مستطيل، مقوسُ السقف (أزج) به مرفقات خَدميّة من مطبخ، وحوض ماء مليء (ديسق) وقدور وآصاع، واحتوى خمرةً يُلتدُّ بها، وفيه اكتفاء ذاتي من طعام وماء، كما يصفه الأعشى، ويصفه السموأل بقوة البنيان؛ إذ أساسه ضاربٌ في عمق الأرض، ورأسه شامخ في الفضاء، ولونه أبيض، فردٌ أبلق لقوته ومنعته.

أمَّا السُّجون معمارياً فلها أبواب مغلقة، محروسةٌ ببوابين أشداء، ينفذون الأوامر الصادرة إليهم من قادتهم، لتنفيذِ الأحكام على المساجين.

أمَّا العُمران من منظور بيئي فبرزَ في غلي ماء البئر، وحفظها في قوارير، ثم كانت تُهدى إلى القادة كهارون الرشيد في الرَّقة، ما يعني أن المنظور البيئي يمتشحُ أحياناً بالمنظور الاجتماعي، فهدايا الماء المغلية دليل ذلك، وسخونة ماء البئر شتاءً وبرودتُها صيفاً، تشكّل ظاهرةً بارزة من منظور بيئي، وهذا الذي ندركه في الآبار حتى الآن، وأهميَّةُ الآبار لا تخفى على أحد، وبعض شروط البلدية والبيئة أن تبنى الآبار في المنازل للضرورة ولشحِّ المياة.

أمَّا العُمران من منظور اجتماعي فمتعدِّدُ الصور، فبعض الآبار يَتزوَّدُ منها المارة، ويشربونَ منها في منازلهم، وبعضُهم يوصي بأن يُغَسَّل بمائها إذا مات، وبعضُها تَتَسمَّى بأشخاص حفروها، تخليداً لأسمائهم كبئري عروة وميمون، أمَّا السجون من منظور اجتماعي، فعقوبة لقاطعي الطريق ولشاربي الخمرة ولمن يقترفُ جرائم.

وفي السجون إصلاحٌ؛ إذ تاب سجينُ واسط، فأطلقه الحجَّاج، لما برزت بُطُولَتُهُ في قتلهِ أسداً جائعاً، وأبو مِحجنِ تاب عن شُرّبِ الخَمرة بعد أن وَعَدَ إنْ عاد سالماً من حرب القادسية، فوفّى وصَلُحَ، وتصفو العلاقات الاجتماعية بين السجين والقادة أحياناً، شأن أبي مِحجن وسعد وزوجة سعد، كما تبرزُ العلاقةُ الاجتماعية متوتِّرةً بين السجين (قاطع الطريق) وسجَّانهِ، إذ يَحِنُّ السجينُ إلى الحرية، ويرنو على الأقل للنظر من باب السجن إلى عالم الحرية وفضائه الرَّحب، لكنَّ سَجَّانَهُ منعه، تنفيذاً لتعليمات قيادته، فينعكفُ السجين إلى داخله، ينوحُ على نفسه، بزفرات شعرية حارّة، يَتَّخِذُ من عالم الحمام النائح معادلاً لما يتمنّاه في عالمه الداخلي، أو يجعلُ من الهلال والنَّهار والبرق اليماني، سماتِ محبة مشتركة، بعلائق تحنان بينه وبين مُحبّيه، وقد طال مُكْثهَ في السجن، فحنَّ وأنَّ، أو يوظّفُ في سجنه الحربيِّ ذكرياتِهِ بدموع فيها تحسُّرٌ وإكبار، مقارناً بين حالتيه عزيزاً من

قبل، وذليلاً من بعد؛ شأنُ أبي فراس والمعتمد بن عباد، الذي أبكى الأخيرَ مآلُ بناتهِ الأميرات، وهن يغزلْنَ للنّاس في السجن، ليَقْتَتْنَ بعد أسْرِهِنَّ، بينما كُنّ أميراتٍ يلبسن الحرير، ويتعطرْنَ بالمسك والكافور.

أمّا أبو فراس الحمداني فانكفأ على نفسه متحسراً، في سجن خرشنة، أسيراً فيه، بعد أن كان زارَه مُغيراً عليه، وحالُ أُمِّهِ محزن مقلق، تُراجِعُ سيفَ الدولة ليفدي وحيدَها، وهو أمير وفارس وابن عم، وقد فادى ممن هو أقلُّ منه شأناً، فيرُدُّها كسيفه حسيرة، فتنثالُ الدموعُ من عينيه، ويعجبُ لبكاء الحمام وهو حُرٌّ، فكيف به لو كان أسيراً مثلَه، إنها منظوراتٍ تَتَّحِدُ دموعُه وشجونُه، نصرُه وخذِلانُه، حرَّيتُه وأسرُه، عزَّتُه وذُلُّهُ في نسيج متعالق اجتماعياً ونفسياً لا ينفصل.

كما تتجلّى منظورات اجتماعية ونفسية في الحصون الحربية، فحصن الحدث يسمونه بـــ "السلامة" وهو خطر على التيمّن، وتجتمع يد سيف الدولة وجنده لبناء حصن الحدث، وما انهدم منه، فتهاجمُه قبل إتمامه حشودُ الرُّوم والرُّوس يُترجم بينهم، لكثرتهم وتعدُّدِ جنسياتهم، ترجمانات، وتدورُ رحى معركة طاحنة ينصر الله تعالى بها سيف الدولة وتتناثر لحومهم على جبل الأحيدب إذ لم يَعد يتسع – على كبير مساحته – جُثَثَ من دُحْرِجوا عليه، وثووا إلى غير رجعة على ساحه، وفي حِصْن جؤاثاء في حَضرْموتَ تستنجدُ بالصدِّيق مجموعة مسلمة من جند محاصرة فيه، أشبه ببرقية عاجلةٍ يُنفذها شاعر محاصر، فيهبُّ العلاء الحضرمي لنجدتهم ويفكُّ الحصار عنهم، وحصن بَقّة، يبرز كمجلس شورى، يشير قصير فيه على جَذيمة ألاّ يسلمَ نفسه للزَّبَّاء، وقد قتل أباها، فلم يُطِعْهُ جَذيمةُ، فندم بعد فوات الأوان، ثم قُتِلَ جَذيمةُ، وقد عصى قصيراً في مجلس بقّة من قبل، ثم تجرَّعَ كئوس الموت بعد ذلك، على يديها في تدمر.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
ابن الأثير، أبو الحسن علي: **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995.
الأصفهاني، أبو الفرج: **كتاب الأغاني**، دار إحياء التراث العربي، مصور عن طبعة دار الكتب، (د. ت).
الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى الكبير**، تحقيق: محمد محمد حسن، المطبعة النموذجية.
البكري، عبد الله بن عبد العزيز: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، عارضه بمخطوطات القاهرة، مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).
الجمحي، محمد بن سلام: **طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر الألماني**، جوزف هل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1988م.
حُبيش ابن عبد الرحمن بن محمد (ت 597هـ): **غزوات ابن حبيش**، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992م.
الحمداني، أبو فراس، **ديوان أبي فراس الحمداني**، رواية ابن خالويه، بيروت للطباعة والنشر، ودار صادر للطباعة والنشر، 1959.
الحموي، ياقوت (ت 626 هـ): **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
الخضر، عبد المعطي: **تاريخ العمارة في العصور القديمة**، جامعة حلب، كلية الهندسة المعمارية، (د. ت).
ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
ابن دريد، محمد بن الحسن: **الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (د. ت).
الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.
الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: **أساس البلاغة**، تحقيق الأستاذ عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982م.
السامرائي، عبد الجبار محمود: **معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، دارسة تاريخية عسكرية**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1984م.
السيوطي، جلال الدين، **المحلى**، جلال الدين، تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم، مذيلاً **بكتاب لباب النقول في أسباب النزول** للسيوطي، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1999.
الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981.
الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1981.
العاملي، زينب بنت يوسف: **الدُّر المنثور في طبقات ربات الخدور**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، بالأوفيست، الاولى ببولاق، سنة 1312هـ.
الفضل، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي: **أيام العرب في الإسلام**، دار الجيل، بيروت، 1988م.
الفيروز أبادي، مجد الدين: **القاموس المحيط**، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).
القاضي، النعامان عبد المتعال: **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، الدار القومية للطباعة

والنشر، القاهرة، 1385 – 1965م.
كمال أحمد عادل: **أطلس الفتوحات الإسلامية**، القاهرة، 2005م.
المتنبي، أحمد بن الحسين، **ديوان المتنبي**، صنعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد علي البجاوي، **أيام العرب في الإسلام**، دار الجيل، بيروت، 1988م.
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: **مروج الذهب ومعادان الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1982م.
المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، استانبول، تركيا، مقدمة الطبعة الأولى، 1960م.
المنجد، جمان: **نظريات العمارة**، مدير الكتب والمطبوعات الجامعية، 1412هـ /1991م.
المنجد في اللغة والأعلام، المكتبة الشرقية، دار المشرق، بيروت، ط17، 1984.
ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب (المحيط)**، إعداد يوسف خياط وتقديم عبدالله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت، (د. ت).
مؤنس، حسين: **أطلس تاريخ الإسلام**، دار الزهراء، القاهرة، ط1، 1987.
الندوي، أو الحسن علي: **السيرة النبوية**، دار الشروق، جدة، ط2، 1979م.
النيسابوري، أحمد الميداني: **مجمع الامثال**، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط3، 1972م.
الواقدي، محمد بن عمر: **كتاب الردة مع نُبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني**، رواية أحمد بن محمد أعثم الكوفي، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1410 هـ/ 1990.

الهوامش

([1])الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م (7) أجزاء.

([2])ياقوت الحموي: (574–626هـ – 1187 – 1229م)، هو ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، ابو عبدالله، شهاب الدين، مؤرّخٌ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن علماء اللغة والأدب، أصله رومي، أسر من بلاده صغيراً وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالأسفار، ثم أعتقه سنة (596 هـ) وأبعده، فعاش من نسخ الكتب بالأجرة، وعطف عليه مولاه وأعطاه شيئاً من المال، واستخدمه في التجارة، فاستمرَّ إلى أن توفي مولاه فاشتغل بعمله، ورحل إلى مرو وخرسان، وانتقل إلى خوارزم، وبينما هو فيها، خرج التتر سنة 616 هـ فانهزم بنفسه تاركاً ما يملك ونزل الموصل، وقد أعوزه القوت، ثم رحل إلى حلب، وأقام في خان بها إلى أن توفي. (ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 21:2) الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، ج8، 131.

([3])انظر: الحموي، ياقوت **معجم البلدان**، تحقيق فريد الجندي، المقدمة، وانظر فهرس 1، 2.

([4])الفيروزأبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، عالم الكتب، بيروت، ج95/2 "عمر".

([5])المصدر نفسه، ج96/2 "عمر".

([6])الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، تحقيق الأستاذ عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982، "عمر"، ص 313.

([7])ابن منظور، **لسان العرب (المحيط)**، إعداد يوسف خياط، تقديم عبدالله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت، مادة "عمر".

([8])**المعجم الوسيط**، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد على النجار، إستانبول، تركيا، مقدمة الطبعة الأولى، 1960، جزءان مادة "عمر"، ج2/ 626 – 627.

([9])وردت مادة "عمر" ومشتقاتها في القرآن أربعاً وعشرين مرة في أربع عشرة سورة هي: البقرة، التوبة، يونس، هود، الحجر، النحل، الأنبياء، الحج، الشعراء، القصص، الرّوم، فاطر، يس، الطور.

([10])وردت مادة البناء بمعنى الإعمار اثنتين وعشرين مرة في ست عشرة سورة هي: البقرة، التوبة، النحل، الكهف، الشعراء، الصافات، ص، الزمر، غافر، ق، الذاريات، الصف، التحريم، النبأ، النازعات، الشمس.

([11])"المنجِّد، جمان، نظريات العمارة، مديرية الكتب والمطبوعات، د. ت، ص 10 – 11.

([12])الخضر، عبدالمعطي، تاريخ العمارة في العصور القديمة، جامعة حلب، د. ت، المقدمة، ص6.

([13])محمد فريد الجندي، **فهارس معجم البلدان، فهارس**، الجزء الثاني، ص 30.

([14])الحموي، **معجم البلدان**، مادة بئر، ج354/1.

([15])نفسه، ج456/4، وموقع العتيق ما بين أرض عروة إلى قصر الراجل.

([16])عروة بن الزبير بن العوام (22 – 93 هـ – 643 – 712م) أسدي، أحد فقهاء المدينة السبعة، عالم دين، كان صالحاً كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن، انتقل إلى البصرة ثم إلى مصر وتزوج، وأقام بها سبع سنين، وعاد إلى المدينة وبها توفي، وهو أخ عبدالله بن الزبير لأبيه وأمه،

وبئر عروة في المدينة منسوبة إليه (ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج316/1) (الزركلي، **الأعلام**، 4/ 226).

([17])علي بن الجهم، (..... – 249هـ – ..... – 863م) أبو الحسن بن لؤي بن غالب شاعر رقيق الشعر، بغدادي عاصر أبا تمام، وخُصَّ بالمتوكل ثم غضب عليه، فنفاه إلى خراسان (افغانستان اليوم) فأقام مدة وانتقل إلى حلب، خرج بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان من بني كلب، فقاتلهم وجرح ومات من جراحه، له ديوان شعر (أبو الفرج الأصفهاني: **كتاب الأغاني**، دار إحياء التراث العربي، مصور عن طبعة دار الكتب، ج10/ 203–234) وانظر الزركلي: **الأعلام**، ج269/4–270، كان من ندماء المتوكل إلى أن نبذه لتجميشه بعض الغلمان، ولأسباب أخرى، وكان يسيء لعلي بن أبي طالب مما كان يغضبُ البحتري.

([18])العوّام هو جد عروة المنسوب إليه البئر، وكان معاصراً للرشيد (ت 193 هـ) (المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق، محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، 1982، ج3/ 347).

([19])السري بن عبدالرحمن الأنصاري الشاعر لم أجد له ترجمة، وأكتفى بما ذكره الحموي عنه من شعره، ما يعني شغور أعلام كثر لمصنفي التراجم وهذا الذي نجده في "معجم البلدان للحموي".

([20])الحموي، معجم البلدان، ج1/ 357.

([21])لم أعثر على ترجمة له وأشك بأن يكون أخا العلاء لاختلاف اسم الأب عندهما، فميمون ابن خالد والعلاء بن عبدالله كما في التراجم اللاحقة إلا إذا كان أخاه من أمه فحسبُ.

([22])العلاء بن عبدالله الحضرمي (... – 21 هـ– .... – 642م) صحابي من رجال الفتوح في صدر الإسلام أصله من حضرموت، لكنَّ أباه سكن مكة فولد فيها العلاء ونشأ بها وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين سنة 8 هـ وجعل له جباية الصدقة، وبعد وفاة الرسول أقره الصدّيّق على عمله ويقال فيه إنه أول مسلم ركب البحر للغزو وفي رواية أن العلاء وجنده مشوا فوق بحر البحرين وفتحوا جزيرة دارين فيها فقال بعض المسلمين يخلد هذه الغزوة:

ضاق الفضاءُ بدارينا وساكِنها ذرعاً فَخُضْتُ إلى كُفَّار دارين

لما رأونا نخوضُ البحرَ نحوهم أخلى عن الموت أصحابُ اليتامين

(الواقدي، محمد بن عمر، **كتاب الردة مع نبذة من فتوح العواق وذكر المثنى**، رواية أحمد بن محمد بن أعثم الكوفي، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار المغرب الإسلامي، ط1)، 1410 هـ – 1990م، ص 162.

([23])أبو جعفر المنصور (95 هـ – 158هـ) ولد سنة 95 هـ من أم بربرية، وتوفي يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة 158 هـ، فكانت ولايته 22 اثنتين وعشرين سنة إلا تسعة أيام توفي وهو حاج، عند وصوله إلى مكة، في الموضع المعروف ببستان بني عامر، من جادة العراق، عن ثلاث وستين سنة، ودفن بمكة مكشوف الوجه لأنه كان محرماً، وقيل مات عند بئر ميمون، ودفن بالحجون (المسعودي، **مروج الذهب**، ج294/3).

([24])نلحظ ترتيب القوافي غير صحيح، وقراءتهما على القافية أولى وكان ميمون حليفاً لحرب بني أمية بن عبد شمس واسمه عبدالله بن عماد (لم أقع على ترجمة له) يفتخر بما يملكه الأمويون في عهده من سعة ملك (انظر البئر في معجم البلدان، ج358/1).

([25])كعب بن مالك الأنصاري (50 هـ/ 670م) صحابي من أكابر الشعراء، مدني من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم شهد أكثر الغزوات، نصر عثمان وقعد عن نصرة علي كرم الله

وجهه (الزركلي، **الأعلام**، 228/5) وتبّع بن حسان الحميري، ملك بعد عبد كلال، كان عقد حلفاً بين اليمن وربيعة، سار إلى الشام فلقيه قوم حمير، وشكوا إليه ما نزل بهم من يهود يثرب من سوء جيرتهم ونقضهم العهد الذي كان بينهم فسار تبَّع إلى يثرب ونزل بسفح أحد وبعث إلى اليهود فقتل منهم 300 رجل وأذلهم وكان ملكه (78) عاماً، (ابن حزم: **الجمهرة**، ص 411)، و (الزركلي، **الأعلام**، 83/1).

([26])أبو الحسن علي الحسني الندوي: **السيرة النبوية**، دار الشروق، جدة، ط2، 1979، خريطة أثرية تقريبية للمدينة المنورة، موقعها بين صفحتي (160 – 161) وانظر موقع الجُرُف عنده، شمالي غربي جبل أحد.

([27])كعب بن الأشرف (ت3 هـ – 624 م) طائي الأصل، أمه يهودية من بني النضير، دان باليهودية كان سيداً في أخواله، شاعراً أكثر من هجاء النبي الكريم وصحبه، وحرَّض القبائل على المسلمين، وشبّب بنساء المسلمين، بعد وقعة بدر، فأمر الرسول الكريم بقتله فقتل في ظاهر حِصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة (ابن الأثير: أبو الحسن علي، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995، ج41/2) والزركلي: **الأعلام**، ج225/5.

([28])الحموي، **معجم البلدان**، ج149/2.

([29])هو لبيد بن ربيعة العامري (ت 41 هـ – 661م) أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية أسلم، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، من الصحابة المؤلفة قلوبهم، لم يقل بعد إسلامه إلا بيتاً واحداً هو:

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه والمرءُ يصلحِهُ الجليسُ الصالح

صاحب معلقة:

عفتِ الديارُ محلُّها فمقامُها بمنى تأبَّدَ غولها فرجامها

الزركلي، **الأعلام**، ج240/5).

([30])الحموي، **معجم البلدان**، 116/2 – 117.

([31])المصدر نفسه، ج319/2 "حفر" والحَفير: شمال غرب كاظمة وجنوب غرب الأبلة (جنوب البصرة) انظر موقعها في خريطة عند عبدالجبار السامرائي: معارك خالد بن الوليد ضد الفرس دراسة تاريخية عسكرية، الدار العربية للموسوعة، بيروت، 1984، ص42، والحفير ليست حفراً لباطن وفات الباحث أن فيها ماء على ما يقوله الحموي في المادة نفسها وعلى ذلك ناور خالد بن الوليد غير مرة لاحتلالها، لما لتوافر الماء من أهمية.

([32])الحموي، **معجم البلدان**، ج319/2–320.

([33])بشر بن أبي خازم (توفي 22 ق. هـ – 589م) أسدي، شاعر جاهلي فحل من الشجعان، قتل في غزوة أيام الجاهلية (الزركلي، **الأعلام**، ج54/2).

([34])الحموي، **معجم البلدان**، ج168/2، ويوم النسار على لفظ الجمع أجبل صغار شبهت بأنسر واقعة وهي ثلاث قارات سود تسمى الأنسر، وهناك أوقعت طيء وأسد وغطفان وهم حلفاء بني عامر وبني تميم ففرّت تميم وثبتت بنو عامر فقتلوهم قتلاً شديداً، فغضبت بنو تميم لبني عامر فتجمعوا ولقوهم يوم الجفار وانتصروا عليهم، (البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج1306/2).

([35])الحموي، **معجم البلدان**، 555/1.

([36])الهَدال: نبات طفيلي يعيش على أغصان بعض الأشجار المثمرة، ويمتص نسغها ويسمى "الدبق" والهدال ما يتدلى من أغصان الشجر (المعجم الوسيط، مادة "هدل").

([37])الحموي، **معجم البلدان**، ج304/1 "حصن".

([38])فريد الجندي، **فهارس معجم البلدان**، 62/2.

([39])أبو فراس الحمداني (320 – 357 هـ – 932 – 968م) هو الحارث أبو فراس الحمداني، أمير وشاعر بني حمدان، ابن عم سيف الدولة، قال الصاحب بن عباد بدئ الشعر بملك وانتهى بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس أسر وفُكَّ أسره، قتله أحد أتباع ابن أخته سعد الدولة ابن سيف الدولة (الزركلي، **الأعلام**، ج155/2).

([40])الحمداني، أبو فراس، **ديوان أبي فراس الحمداني**، رواية ابن خالويه، بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1959م، ص 115 – 116.

([41])الحموي، **معجم البلدان**، ج145/1، مادة "الأحيدب" وفي نص المتنبي اختلاف لفظة يوم الأحيدب عند الحموي عن قوله الأحيدب في شرح ديوان المتنبي وضعه عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، مجلد 2/ج4، ص 104، ويؤكد الشاعرأنّ تحشد قوات الروم على سيف الدولة لاجتثاثه لكنهم خسروا المعركة بدليل المتنبي في القصيدة نفسها:

وكيف ترجِّي الرُّوْمُ والرُّوسُ هدَمها وذا الطعنُ أساسٌ لها ودعائمُ

تجمَّعَ فيها كُلُّ لِسْنٍ وأُمَّةٍ فما تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلا التَّراجمُ

وانظر خريطة الثغور عند الدكتور حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة، دار الزهراء، خريطة رقم 79 ص 151، وانظر الدكتور حسن ربابعة: **من أدب الحرب عند المتنبي**، مؤسسة رام للتكنولوجيا والكمبيوتر، مؤتة، الكرك، ط1، 2004، ص 89 – 90 خرائط للثغور.

([42])الحموي، **معجم البلدان**، ج263/2–264.

([43])المصدر نفسه، ج1\ 97 أمَّا معاني الكلمات الصعبة الواردة في النص مثل درمك فتعني بنائياً : دقيقاً ابيض، ودارة: بمعنى هالة، وديسق بمعنى حوض مليء ماء، والازج: بناء مستطيل مقوس السقف (المعجم الوسيط، مواد درمك ودارة ودسق وازج، والشاعر الأعشى، هو ميمون بن قيس (ت7 هـ) من بني وائل، صاحب معلقة، كان يفد على الملوك وهو صنّاجة العرب (الزركلي، **الأعلام**، 7/ 241).

([44]) الحموي، **معجم البلدان**، ج1/ 98 الأبلق؛ وانظر: الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى الكبير**، تحقيق: محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، ص 217.

([45])الحموي، **معجم البلدان**، ج1، 98، وانظر: الأعشى، **ديوان الأعشى الكبير**، ص 217–218.

([46])الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص98.

([47])ورد في النص (ولا ينال طويل)، الواو زائدة ينكسر الشعر بها وازالتها أولى ليستوي الوزن على البحر الطويل.

([48])تقع دُومة الجندل إلى الجنوب الغربي من الحيرة (أحمد عادل كمال، أطلس الفتوحات الإسلامية، القاهرة، 2005، ص37 خريطة) وهي على عشر ليال من الكوفه (الحميري: **الرّوضُ المعطار**، تحقيق احسان عباس، ص 519) ودومة الجندل في غربها زروع ونخل، وغربها عين ماء، وفيها حِصْنُ مارد، لأنه مبني بالجندل، وعلى دومة سور، وفي داخل السور حصن منيع، يقال له مارد، وهو حصن أكيدر الملك بن عبد الملك، وكان النبي الكريم وجه خالد بن الوليد إلى

الحصن سنة 9 هـ وعقد صلحا مع الأكيدر، ولكنه نقضه فقتله خالد؛ لأنه ارتدّ عن إسلامه، وسميت بدومة نسبة إلى دومة بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام(الحموي، **معجم البلدان**، دومة الجندل،ج2/ 554- 556) وانظر الشعر في معجم البلدان ج1/ 98.

([49])الزبَّاء بنت عمرو بن الظرب – (385ق. هـ) (ت 285م)، ملكة تدمر مشهورة، أمها من ذرية كيلوباترة ملكة مصر، لها تفصيل في مجمع الأمثال للميداني عن مثل خطب بسير في خطب كثير وأدرجت لها عدة أمثال قتلت جذيمة الابرش، قاتل أبيها، وانتقم منها ابن أخته بحيلة قصير الذي جدع انفه للانتقام (أحمد النيسابوري، **مجمع الأمثال**، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط3، 1972، ص233ـ 237 رقم المثل 1250) وانظر زينب بنت يوسف فواز العاملي : **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، دار المعرفه للطباعة والنشر، بيروت، طه2 بالأوفست، الأولى ببولاق سنة 1312 هـ، ص 219- 220 وانظر الزركلي: **الأعلام**، ج3/ 41.

([50])الحموي، **معجم البلدان**، ج5/ 45 مادة مارد و268 مادة مهراس. وانظر: الأعشى، **ديوان الأعشى الكبير**، ص 193.

([51])الحموي، **معجم البلدان**، ج1/ 559 بقة.

([52])الفرسخ: مقياس قديم للطول يقدر بمسافة ثلاثة أميال (المعجم الوسيط: فرسخ).

([53])هو جذيمة الوضاح (ت نحو 361ق.هـ، نحو 268م)، ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق عُمرّ طويلا، وكان ملكه ممتداً من الحيرة والأنبار والرقة وعين التمر، وبقة وهيت وأطراف في البرّ، وهو أول من غزا بالجيش المنظم وعملت له المجانيق للحرب من العرب، قتل الملك عمرو بن الظرب والد الزباء في تدمر وانصرف، فكادت له الزباء، وقتلتْهُ بالحيلة والمكر(الزركلي: **الأعلام**، 2/ 114) وقد اشرنا في حاشية (76) إلى جانب من علقته بالزباء، وسمي بالابرش لبرص به، إذ يتشاءم العرب بذكر البرص.

([54])قصير بن سعد اللخمي، احد رجال القصة المشهورة في انتقام عمرو بن عدي وهو ابن أخت جذيمة الابرش من الزباء قاتلة خاله بتدبير من قصير الذي جدع أنفه ليحتال لها فأقام معها علاقة وتاجر لها غير مرة حتى أوقعها في شرك، قتلها بجُوالق تُحَملُ على الجمال، اذ كان يكمنُ نهارا ويسير ليلا، انظر ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج1/ 262-270، وقد ذكر حادثة قتل جذيمة غير شاعر منهم ابن دريد في مقصورته وعدي بن زيد وقد فصل الحادثة المخبل السعدي. ونهشل بن حريّ (ت 45 هـ/ 665م).

([55])الحموي **معجم البلدان** ج1/ ص559- 559 ، ونهشل بن حريّ (ت 45هـ/ 665م) دارمي شاعر مخضرم، اسلم ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، كان مع علي بن أبي طالب يوم صفين، فقتل أخوه مالك بها فرثاه بمراث متعددة، فهو شاعر وابن شاعر وحفيد شاعر، وقد ترجم له ابن سلام في طبقات الشعراء ورتبه في الطبقة الرابعة وأدرج له قطعة من خمسة أبيات يحث فيها على حسن الجوار(محمد بن سلام الجمحي، **طبقات الشعراء** مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1988، ص 176 وانظر الزركلي: **الإعلام**، ج8/49.

([56])نئيشا: أخيراً بعد ما فات، والنئاش: التأخر(الحموي، معجم البلدان، ج1/ 560) يترجم معناها بنفسه.

([57])عدي بن زيد (ت 35ق. هـ) هو ابن عبادي تميمي، شاعر جاهلي من أهل الحيرة، فصيح كان يحسن العربية والفارسية والرميّة، وهو أول من كتب العربية في ديوان كسرى انوشروان،

عمل سفيرا إلى ملك الروم، في عهد هرمز بن كسرى، تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر، فوشى به أعداء له إلى النعمان فسجنه، ثم قتل في سجنه بالحيرة، له ترجمة طويلة في كتاب الأغاني، ج2/ 97–156 وانظر الزركلي: الإعلام، ج4/ 220 وانظر شعره في مادة بقة(الحموي: **معجم البلدان**، 1/ 560.

([58])الحموي، **معجم البلدان**، ج1/ 259، مادة أطُم.

([59])هو أوس بن مغراء التميمي توفي نحو سنة 55ه، من بني أنف الناقة، مخضرم في الجاهلية والإسلام، هاجاه النابغة الجعدي الذي عمر فوق 120 سنة في أيام معاوية فغلبه أوس بقوله:

لعمرك ما تبلى سرابيلُ عامرٍ من اللؤم ما دامت عليها جلودُها

(الزركلي، **الإعلام**، ج1/ 31) وانظر مهاجاة أوس للنابغة الجعدي عند الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج5/ 10.)

([60])هو زيد الخيل (الخير) الطائي(ت سنة 9ه) لقبه زيد الخيل لكثرة خيله أو لحسن طراده عليها، شاعر محسن، أسلم في وفد إلى الرسول الكريم سنة 9ه، وسماه الرسول الكريم زيد الخير واستحسنه على ما زيد في وصفه، وأقطعه أرضاً في نجد، مكث سبعة أيام في المدينة، ثم حمى وعاد لنجد وتوفي هناك(الزركلي، **الإعلام**، ج3/ 61).

([61])كان لليهود في خيبر حصون (أطام) كثيرة منها ناعم وقموص والسلالم، وقد فتح الله تعالى خيبراً لنبيّه الكريم سنة 7ه لتآمرهم مع غطفان لغزو المدينة (الندوي، أبو الحسن، **السيرة النبوية**، ص 259– 279).

([62])وكان من شروط الصلح أن يعطوا نصف زروعهم وثمارهم، وكان عبد الله بن رواحه رضي الله عنه مخّرصاً عليهم(الندوي، أبو الحسن علي، **السيرة النبوية**، دار الشروق، جدّة، ط2، 1979، ص 264).

([63])الحموي، **معجم البلدان**، جؤاثاء، ج2/ 202– 203، ووقع خلاف باسم الشاعر اهو عبد الله بن حزن كما هو عند الحموي أم هو عبد الله بن عوف العبدي كما في **تاريخ الطبري** ج3/ 304، والشطرة الثانية من البيت الثاني(جياعاً في جؤاثي محصرينا) وفي البيتين الثالث والرابع خلاف، إذ ذكر في البيت الثالث أسماء القبائل التي تحاصرهم

تحاصرهم بنو ذهل وعجلٍ وشيبان وقيس ظالمينا

مما يفهم من النص أنه أشبه ببرقية عاجلة في عصرنا تبين موقف المحاصرين وقوة العدو، وطلب النجدة فأسرع إليهم العلاء الحضرمي فأنقذهم وفكّ الحصار عنهم.

([64])الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة سجن، ص 204.

([65])سورة يوسف : آية 33.

([66])الحموي، **معجم البلدان**، ج2/ 83.

([67])نفسه، ج2/ 257.

([68])نفسه، ج1/ 83، مادة أبان .

([69])الجحدر: القصير: انظر ابن دريد، محمد بن الحسن، **الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ص355.

([70])الحجاج بن يوسف الثقفي،(40–95ه)، قائد داهية ولد في الطائف، وانتقل إلى الشام والتحق بنائب عبد الملك بن مروان، فكان من عديد شُرْطته، قاتل عبد الله بن الزبير وانتصر عليه، ووّلاه

عبد الملك مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليه العراق، وهو الذي بنى مدينة واسط (خير الدين الزركلي، **الإعلام**، ج2/ 168).

([71])واسط: سميت بواسط لتوسطها بين البصرة والكوفة، ومنها إلى كل واحد منها خمسون فرسخاً، ولان في مكانها كان موضع يسمى واسط قصب فسماها بانيها الحجاج بن يوسف بها(الحموي، **معجم البلدان**، واسط، ج5/ 400 –401).

([72])الحموي، **معجم البلدان**، ج2/ 257.

([73])ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج8/ 468 أحداث سنة 484 وأحداث سنة 488ه.

([74])الحموي، **معجم البلدان**، ج2/ 411 خرشنة وهو نسبة إلى بانيه خرشنة بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام.

([75]) أبو فراس الحمداني، **ديوانه**، ص 241

([76])نفسه، ص235.

([77])نفسه، ص 235.

([78])نفسه، ص30.

([79])المعتمد بن عباد(431–488ه) صاحب اشبيلية وقرطبة وما حولهما، كان شاعراً فصيحاً وكاتبا مترسلاً، حاصره أحد قواد يوسف بن تاشفين في اشبيلية وأسره، وأرسل إلى سجن أغمات في المغرب (الزركلي، **الإعلام**، ج6/ 181).

([80])يوسف بن تاشفين: (410–500ه) صنهاجي حميري، سلطان المغرب الأقصى، وباني مَرَّاكش، ودعي بأمير المسلمين، أنقذ المعتمد بن عباد من الفرنج وانتصر عليهم بمعركة الزّلاجة، سنة (479ه) وأسرَ المعتمدَ وسجنه في أغمات حتى مات سنة 488ه(ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج8/ أحداث سنة 484ه_و488ه) والزركلي، **الأعلام**، ج18 / 222.

([81])الحموي، **معجم البلدان**، ج1/ 266–267 أغمات، والشاعر محمد بن عيسى بن لبانة (ت 705ه)، كان من كبراء دولة ابن صمادح له في شعر ابن عباد (الزركلي، **الأعلام**، ج6/ 322).

([82])ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، أحداث سنة 484، 488ه.

([83])من الشعراء أبو بكر بن اللبانه، وعبد الجبار بن حمديس، والمعتمد نفسه وقد وقف شاعره أبو بكر بن اللبانه على قبره ورثاه بفواجع الأبيات (ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج8/469، 470، 505).

([84])أبو مِحجن الثقفي (ت30ه)، واسمه عمرو بن الحبيب الثقفي، شاعر بطل صحابي مسلم كريم، أسلم سنة 9ه وروى عدة أحاديث، كان مولعاً بشرب الخمر، فحدَّهُ عمر مرات، ثم نفاه، فالتحق بسعد في القادسية فسجنه في قصره، بأمر الفاروق عمر، التمس من سلمى زوج سعد أن تفكَّ قيدهَ، وتعطيَه فرس سعد البلقاء ليقاتل عليها يوم القادسية على أن يعودَ ليضع القيد في رجله إن أحياه الله تعالى فوافقت فقاتل بشجاعة، وأطلقه سعد لشجاعته (**الأعلام**، ج5/ 176) وانظر محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: **أيام العرب في الإسلام**، دار الجيل، بيروت، 1988،ص 271–272 وعمس: أخفى ومحا.

([85])الحموي، **معجم البلدان**، قادس، ج4/ 330.

([86])ابن حبُيش (ت 597ه): **غزوات ابن حبيش**، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1992، ج2/ 561 القادسية: وقد ذكرت قادس عند غير شاعر، ويبدو أن الحموي لم يطلع على غزوات ابن حبيش المؤرخ، توفي قبله بحوالي 30 سنة.

([87])ابن حُبيش، **غزوات ابن حبيش**، ج2/ 183، ومحمد أبو الفضل وزميله، **أيام العرب في الإسلام**، ص 271–272 يوم اغواث وانظر النعمان عبد المتعال القاضي : **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385ه– 1965، ص133.